الفصل الأول

المسلمون والأجانب

بم عبر الاجانب عن المسلمين ؟ : كلمة عرب ومدلولها عند القدماء • مساكنهم وانتشارهم • الشرقيون Saraceni وتفسيرها واتساع مدلولها فى العصر المسيحى • الاسماعيلية ومدلولها • الاسماعيلية ومسلمو المجر والباشقرد • اجتماع ياقوت الحموى بطائفة منهم فى حلب فى القرن الثالث عشر الميلادى. كلمة المغاربة Mauri واتساع مدلولها •

استخدم الأجانب اصطلاحات مختلفة للدلالة على المسلمين ، سواء أكان ذلك فى الأسماء أم فى النعوت ، وظهرت هذه المصطلحات خلال كتاباتهم وأحاديثهم عن الإسلام والمسلمين فى مختلف العصور ، منها ما كان جائراً ومنها ما جاء معتدلا ، بل إن منهم المنصف الذى لم يخضع لشىء سوى النزاهة العلمية ، فلم يتجاوز منطق الواقع التاريخى .

وأول ما يلفت النظر كلمة « عرب » ، وهذه أطلقت وأريد بها قديماً ، الدلالة على سكان الصحراء أو البدو ، بل إن هذه الكلمة أطلقت كذلك على البادية نفسها (١) ، وفى اللغة العبرانية ، دلت لفظة عرب على معنى البداوة (٢) . وأقدم نص وردت فيه هذه الكلمة ، نص أشورى قديم ، يرجع إلى عهد الملك شلمنصر الثانى Shalamanesar II الذى حكم حوالى سنة ١٢٦٠ ق . م . (٣) . وتعنى لدى الأشوريين غير ما تعنيه فى العصور الحديثة ، فهم قد أطلقوها على مشيخة عربية معادية لهم ، كانت تحكم البادية المتاخمة لحدودهم ، وملك هذه المشيخة يومئذ هو جندب أو جنديبو .

---

(١) جورجى زيدان : العرب قبل الإسلام (مراجعة وتعليق الدكتور حسين مؤنس) ص ٣٩ ـ ٤٠ .

(٢) جواد على : تأريخ العرب قبل الإسلام ج ١ ص ١٦٩ ـ ١٧١ .

(٣) انظر : Hall, H.R., The Ancient History of the Near East, P. 584. ;

وفى اللغة الأشورية قرئت كلمة عرب بصورة مختلفة : عرُب Arub وعربى Aribi وعربيو Aribu وعرابى Arabi (١) .

ووردت فى الكتابات البابلية عبارة : « ماتو أ — را — بى » Matu A Ra - Bi ، وهذه تعنى « أرض العرب » ، ومثل هذا المعنى ، ورد كذلك ، فى النقوش الفارسية ، وفى هذه النقوش حددت أرض العرب بالصحراء السورية وصحراء سيناء . كذلك جاءت كلمة عرب وبلاد العرب فى الشعر الإغريق ، غير أن تحديد المكان تحوطه الأساطير . وقد ذكر هيرودوت Herodotus — المتوفى حوالى عام ٤٢٥ ق . م ، أن العرب هم سكان المنطقة الواقعة بين مصر وفلسطين ، أى شبه جزيرة طور سيناء ، أما المؤرخ اليونانى كسنوفون Xenophon المعاصر لهيرودوت ، وتلميذ سقراط ، فقد درس كلمة عرب دراسة مستفيضة وحدد الصحراء العراقية ، بصفة خاصة ، بأنها مسكن أولئك العرب(٢).

أى أن العرب فى عرف القدماء ، زمن الفراعنة والأشوريين والبابليين والفينيقيين والإغريق ومن عاصرهم ، هم أولئك البدو الذين استوطنوا المناطق الشمالية من الجزيرة العربية (٣) ، وهذه المناطق هى التى يحدها نهر الفرات شرقاً والنيل غرباً ، ولعل تحديد هذه المساكن ، جاء نتيجة احتكاك الدول التى سادت فيها ، فى تلك الأزمنة ، بأولئك السكان ، ولم تتوغل هذه الدول فى قلب الجزيرة العربية ، الموطن الأصلى للساميين .

---

(١) جواد على : تاريخ العرب قبل الاسلام ج ١ ص ١٦٩ — ١٧١ :

(٢) Nöldke , Th. , The Scope of Influence of Arabic History (In Historians' History of the World, Vol. VIII) PP. 2-3

(٣) Grousset, R. , L'Empire Du Levant, PP. 91-92 ;
Goubert, p., Byzance Avant L'Islam. P. 249 sqq.

والمعروف أن العرب ، أهم فروع الجنس السامى القديم ، الذى استوطن آسيا ، ويعتبر المؤرخون أن بلاد العرب أوشبه الجزيرة العربية ، هى موطن الساميين الأصلى ، ويفسرون ذلك بأن أواسط بلاد العرب ، ولا سيما نجد ، هى التى أمدت منطقة الهلال الخصيب بسكانها ، وصبغتها بالصبغة السامية ؛ إذ لا يعقل أن ينتقل سكان الجبال أوالزراع المستقرون من حياة الاستقرار ، المتحضرة نسبياً ، إلى حياة البداوة والنقلة ، بل المعقول أن يحدث العكس ، ولما كانت الحياة الأولى للشعوب السامية بدوية ، فلا بد وأن يكون موطنها الأصلى صحراوياً ، وهو جزيرة العرب . وقد ثبت أن معظم المدن والقرى ، فى العراق والشام ، من إنشاء العناصر البدوية التى استقرت وأصلحت الأراضى واستغلتها ، وكذلك اشتغلت بالتجارة (١) .

الراجح إذن أن الجزيرة العربية هى الموطن الأصلى للساميين ، وأن هجرات أو موجات بشرية خرجت منها عبر القرون المختلفة منذ أقدم العصور (٢) .

على أن الأجانب لم يقتصروا على استعمال كلمة عرب للدلالة على العرب وعلى المسلمين بعد ذلك ، بل أطلقوا أيضاً كلمة « سراكينى » للدلالة على العرب والمسلمين . وورد هذا اللفظ فى اللغة اليونانية : Saracenes ، كما ورد فى اللغة اللاتينية Sarscenus فى صيغة المفرد ، والجمع Saraceni . وقد أراد اليونان والرومان بهذه الكلمة : القبائل العربية المقيمة على حدود الإمبراطورية الرومانية فى بادية الشام والأطراف

---

(١) جواد على ج ١ ص ١٥٠ ـ ١٥٧ .

(٢) راجع فيليب حتى : تاريخ العرب (ترجمة محمد مبروك نافع) ج ١ ص ١٢ ـ ١٦
Nöldke. OP. Cit. P. 8

الشماليه للجزيرة العربية . وفى شبه جزيرة سيناء ، وكانت هذه القبائل كثيرة الإغارة على حدود الأمبراطورية (١) . غير أن اليونان والرومان لم يكونوا مبتدعين لهذا المصطلح ، وإنما نقلوه عن العبرانيين ، فهم الذين استخدموه وأطلقوه على القبائل الإسماعيلية — نسبة إلى إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام — المقيمة فى شرقى فلسطين والشام ، وكانت هذه القبائل تحيا حياة بدوية (٢) .

اتسع مدلول هذا اللفظ فى العصور المسيحية الأولى ، فاستعمله المؤرخ إيزوب Eusebius (٢٦٤ — ٣٤٠ م) (٣) ، مرادفاً للعاصمة الإسماعيلية الواردة فى التوراة ، ونعنى أولئك الذين كانوا يعيشون فى برارى منطقة قادش بشمالى الشام (٤) .

وخلال القرنين الخامس والسادس الميلاديين ، انتشر استعمال هذه الكلمة ، فأطلقها المسيحيون الغربيون على أعدائهم من العرب والمسلمين عامة ، وظل هذا اللفظ يستعمل فى غربى أوربا طوال العصور الوسطى ، وكذلك فى العصور الحديثة ، ويطلق على كل عربى ومسلم دون استثناء أو تحديد

---

(١) Encycl. Brittannica . Art. 'Saracens'.

(٢) جواد على ج ١ ص ١٨١ .

(٣) المؤرخ ايزوب أسقف ومؤرخ فلسطينى الأصل ، عاش زمن الإمبراطور قسطنطين الأكبر (٣٠٦–٣٣٧م)، ومن مؤلفاته المعروفة : التاريخ الدينى Historia Ecclesiastica وكتاب سيرة قسطنطين Vita Constantini وغيرهما . وله دور مشهور فى تاريخ المجامع الدينية التى عقدت زمن هذا الامبراطور ، لمناقشة المذاهب الدينية المتعارضة فى ذلك الوقت وهى الأريوسية والاثناسيوسية . (انظر : Lindeay , T. Byzantium into Europe, PP. 198-5; Hardy E. R., Christian Egypt, P. 46 sqq.; Encycl. of Religion of Ethics, Arts. Arius of Athanasius.

(٤) جواد على ج ١ ص ١٧٧ — ١٧٨ ، Nöldke, Op cit. . P. 3

أما أصل هذا المصطلح واشتقاقاته ، فقد قيل الكثير بصدده ، فذهب بعض علماء أوربا المسيحية فى العصور الوسطى ، إلى أنه مكون من كلمتين هما : سارة (زوجة إبراهيم عليه السلام) وقين (بمعنى عبد) ، فيكون المعنى « عبيد سارة »(١) ، وهذا غير صحيح ، لأن سارة أم إسحق ، الذى بشر به إبراهيم ، بعد أن كبرت سنه ، وكانت سارة عاقراً وهى عجوز ، ولم تكن أم إسماعيل جد العرب المستعربة(٢) . ويرد الأب أنستاس الكرملى هذا اللفظ إلى مخلاف باليمن يسمى « سرحة » ، ويقول البعض ، إنه تحريف لكلمة « سرق » ومنه السراق والسارقون، نظراً لكثرة سطو هذه القبائل على حدود الإمبراطورية الرومانية(٣) . أما الفرنسيون فيجعلون هذا اللفظ مشتقاً من كلمة سرازا Sarrasin بمعنى « الحنطة السمراء » (Blé Noir) ، لأن أغلب العرب سمر الوجوه(٤) ، وأطلقوه على جميع المسلمين فى كل مكان .

ويرجح أن كلمة « سراكينى » تصحيف لكلمة « شرقيين » ولهذه اللفظة علاقة بما يطلق اليوم على بعض العرب من اسم « شروك أو شروكية أو شروق » باصطلاح أهل نجد والعراق ، وقد سمعت الحجازيين فى الحجاز ، يستخدمون كلمة شروق وشرقى ، ويعنون بها سكان نجد أو النجديين ، وهم القادمون من شرق الحجاز أى من نجد . بل إن الحجازيين يستعملون هذا المصطلح كذلك ليميزوا به نوعاً من النعال ، تعود النجديون أن يلتعلوه فيقلون « شرقية » .

---

(١) جواد على ج ١ ص ١٧٨ .

(٢) شكيب أرسلان : تاريخ غزوات العرب ص ٢٠٧ ، انظر : عبد الوهاب النجار قصص الأنبياء ص ٢٩ وما يليها .

(٣) جواد على ج ١ ص ١٧٩ .

(٤) شكيب أرسلان ص ٢٠٧ .

ومما يزيد فى رجاحة هذا التخريج ، أن بطليموس الجغرافى الأسكندرى Claudius Gtalemaeus (ت ١٥٠ ق. م) ، أشار إلى قبائل عربية من هذه القبائل ، انفصلت عن شقيقاتها وارتحلت إلى المغرب ، وأطلق عليها كلمة « المغاربة » Machurebe (١).

هذا واستخدم الأجانب كلمة « الإسماعيلية » ، للإشارة إلى العرب وإلى المسلمين ، ولا شك أن لهذا المصطلح أساساً ، فإن قسماً كبيراً من العرب ، كان من نسل إسماعيل بن إبراهيم ، وهؤلاء هم العرب المستعربة ، وهم الذين ظهر بينهم الإســـلام ، ويعرفون كذلك بعرب الشمال أو العدنانية .

غير أن كلمة الإسماعيلية ، لم يقتصر استعمالها للدلالة على العرب . بل أطلقت على المسلمين كذلك . والمعروف أن الإسماعيلية ، كما نفهمها نحن المسلمين اليوم ، هى طائفة من طوائف الشيعة ، تنسب إلى الإمام السابع إسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب(٢) .

واشتهرت طائفة من المسلمين فى الهجر باسم الإسماعيلية ، وذلك خلال العصور الوسطى ، لكنها انقرضت الآن لقلة عددها واندماجها التدريجى فى المجريين ، فضلا عما نزل بها من اضطهادات وعسف وإرغام على الارتداد .

---

(١) جواد على ج ١ ص ١٨١ ، مؤنس : المسلمون فى حوض البحر الأبيض (مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية) م ٤ سنة ١٩٥١ ، ص ١٠٢ .

(٢) انظر أحمد أمين : فجر الإسلام ص ٢١٧ ـ ٢٣٢ ، ضحى الإسلام ج ٣ ص ٢٠٨ ـ ٢١٥ ، ابن حزم : الفصل فى الملل والأهواء والنحل ج ١ ص ١٩٥ وما بعدها ، وبهامشه : الشهرستانى : الملل والنحل (نفس الصفحات) .

ويبدو أن هذه الطائفة ليست من العرب ، وربما كانت من البلغار أو الباشقرد[١] الذين اعتنقوا الإسلام ، وعاشوا فى المجر زمن أسرة أرباد Arpad المالكة (٨٩٦ - ١٣٠١ م)[٢] عرف هؤلاء بين المجريين باسم « الإسماعيلية » لإسلامهم ، ويقول أبو الفداء عن الباشقرد ، إنهم « ترك جاوروا اللمانيين ، وهم مسلمون من جهة فقيه تركمانى بصرهم بشرائع الإسلام »[٣] ، ويزيد القلقشندى على ذلك بأن « غالبهم نصارى ، وفيهم مسلمون ، وفى باشقرد قاض مسلم معتبر »[٤] .

زاول هؤلاء المسلمون فى بلاد المجر (لهنقر) ، أعمالا مختلفة ، من تجارة ووظائف فى الدولة ، على أن أكثرهم مارس التجارة ، كما اشتغل الكثير منهم فى الجندية [٥] ، حتى كان منهم من ولى حراسة قلعة بشت Besth — إحدى الجزأين اللذين تتكون منهما بودابست عاصمة جمهورية المجر الحالية — وفى الحملة التى بعثها ملك المجر جيزا الثانى Geza II (١١٤١ — ١١٦١ م) لمساعدة الإمبراطور فردريك باربا روسا عام ١١٦١ م ،

---

(١) وردت كلمة باشقرد بصور مختلفة : باشقرد — باشجرد — باشغرت — باشغرد — باش قرد — باش قرُد . وهى مكونة من كلمتين : باش بمعنى رأس ، قورت بمعنى ذئب أو دود أو نحلة (بالتركية) .

(انظر بارتولد W. Barthold « باشقرد » فى دائرة المعارف الاسلامية — الترجمة العربية — ج ٣ ص ٢٨٦ — ٢٨٨ ، وراجع صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٢٠ ، أبو الفداء : تقويم البلدان ص ٢٠٦) .

(٢) ظل التاج فى هذه الأسرة أكثر من ثلاثة قرون ، وكانت أسرة إقطاعية استبدادية عضدتها الكنيسة فاكتملت لها وسائل القهر والطغيان (راجع : Brooke, Z. N., a History of Europe (911-1198) PP. 366 - 368 , Orton P. , A History of Europe (1198 - 1318), P. 172,)

(٣) تقويم البلدان ص ٢٠٦ .

(٤) صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٢٠ .

(٥) انظر ما يلى .

يقال إن عدة جنود الإسماعيلية الذين ضموا إلى هذه الحملة ، بلغوا نحو أكثر من ٥٠٠ جندى [١]

غير أن مسلمى المجر تعرضوا لعنت الملوك لا سيما الملك لادسلاس الأول Ladislas I (١٠٧٧ — ١٠٩٥ م) ، إذ أصدر أمره إليهم باعتناق المسيحية ، ومع ذلك ظل أغلبهم يخفى إسلامه ، وخشى الملك كولومان Kolaman (١٠٩٥ — ١١١٤ م) من ازدياد نفوذ الإسماعيلية فى بلاده ، فأمر على أثر توليه للعرش ، بألا يزيد الإسماعيلية فى كل قرية من القرى التى يقيمون فيها بأطراف المجر الجنوبية ، على النصف من سكان القرية ، وأجبرهم كذلك على تزويج بناتهم من المسيحيين[٢] .

وقد التقى ياقوت الحموى (ت ٦٢٦ هـ : ١٢٢٩ م) بطائفة من هؤلاء المسلمين فى حلب عام ٦٢٤هـ : ١٢٢٦ م ، كانوا قد جاموا ليتفقهوا فى المذهب الحنفى ، فسأل رجلا منهم (استعقله) — على حد تعبيره — عن بلادهم وأحوالهم ، فأجاب :

« أما بلادنا ، فمن وراء القسطنطينية ، فى مملكة أمة من الإفرنج يقال لهم الهنكر — أى المجريون Magyrs — ونحن مسلمون ، رعية لملكهم . فى طرف بلاده نحو ثلاثين قرية ، كل واحدة تكاد تكون بايدة ، إلا أن ملك الهنكر لا يمكننا أن نعمل على شىء منها سوراً ، خوفا من أن نقضى عليه ونحن فى وسط بلاد النصرانية ، فشمالينا بلاد الصقالبة ، وقبلينا بلاد البابا ، يعنى رومية ، والبابا رئيس الإفرنج ، هو عندهم نائب المسيح ، كما هو أمير المؤمنين عند المسلمين .. وفى غربينا الأندلس ، وفى شرقينا بلاد الروم

---

(١) انظر Boyce. J. V. . The Holy Roman Empire . pp. 45 ; 47

(٢) شكيب أرسلان . غزوات العرب ص ٢٠٧ ، ٢٠٨ .

قسطنطينة وأعمالها . ولساننا لسان الإفرنج ، وزينا زيهم ، ونخدم معهم فى الجندية ، ونغزو معهم كل طائفة ، لأنهم لا يقاتلون إلا مخالفى الإسلام » .

ثم سأله ياقوت عن سبب إسلامهم مع كونهم فى وسط بلاد الكفر ، فأجاب :

« سمعت جماعة من أسلافنا يتحدثون ، أن قدم إلى بلادنا منذ دهر طويل سبعة نفر من المسلمين من بلاد البلغار[1] ، وسكنوا بيننا ، وتلطفوا فى تعريفنا وما نحن عليه من الضلال ، وأرشدونا إلى الصواب من دين الإسلام ، فهدانا الله والحمد لله ، فأسلمنا جميعاً ، وشرح الله صدورنا للإيمان ، ونحن نقدم إلى هذه البلاد نتفقه ، فإذا رجعنا إلى بلادنا أكرمنا أهلها وولونا أمور دينهم » .

سأله بعد ذلك عن سبب حلق لحاهم ، كما تفعل الإفرنج فقال : « يحلقها منا المتجندون ، ويلبسون لبسة السلاح مثل الإفرنج أما غيرهم فلا . . . » .

وختم الإسماعيلى حديثه مع ياقوت بتعريفه بمقدار المسافة بين حلب وبلاده ، وهى نحو خمسة شهور[2] .

وهناك كلمة « الموريين » Mauri ، وهذه أطلقها الأجانب على العرب وعلى المسلمين عامة ، وأصل هذه الكلمة هى اللفظة اليونانية Maupoi ويقابلها فى اللاتينية Mauri ومعناها « الناس السود » Black Men (٣)،

---

(١) تسمى كذلك « بلاد بلار » (انظر تقويم البلدان لأبى الفداء ص ٢١٦ ، ٢١٧ صبح الأعشى ج ٥ ص ٤١٧) .

(٢) معجم البلدان ج ٢ ص ٣٧ ـ ٣٩

(٣) Encycl. Britt., Art. "Moors".

وبهذا المعنى وردت فى الشعر الإنجليزى القديم (Black-a-mov) « أسود كالمور » .

ويقول البعض ، إن لهذا اللفظ صلة بالكلمة العبرية والفينيقية ماهور Mahur بمعنى غربى Western ، فيكون المعنى مغاربة ، ويشتقه البعض الآخر من الكلمة ماهير Mahir وهى تحريف لكلمة أماسير Amâsir وجمعها إيمازير Imâzir أو ماسير Masir ، ومعناها حر Free وهى صفة لحقت بشخص من البربر اسمه أمازيغ Amazigh (١).

والمعروف أن الرومان أطلقوا كلمة موری Mauri فى العصر الكلاسيكى ، على قبائل البربر المقيمة فى شمالى غرب أفريقية ، وسموا المقاطعات التى يقيمون فيها باسم مرطانية Mauretania نسبة إليهم. وحدود هذه المنطقة فى العصر الرومانى ، من مدينة سالا Sala المطلة على المحيط الأطلسى غرباً — شمالى الرباط الحالية — إلى شرقى مدينة سالداى Saldae وهما بجايه Baugia الحالية — شرقاً بالجزائر . أى إن موريتانيا ، شملت فى العصر الرومانى ، ما هو اليوم المغرب وبعض الجزائر(٢) .

وقد ظهرت هذه التسمية لأول مرة فى التاريخ خلال الحرب اليوجرثية Jugurthine War (١١٠ — ١٠٦ ق.م) ، وهى التى شبت بين يوجرتا Jugurtha ملك موريتانيا وبين الرومان(٣) .

---

(١) Ibid.

(٢) انظر : Cary, History of Rone, p. 303

(٣) بدأت هذه الحرب عام ١٠٩ ق . م بقيادة القائد الرومانى كيكيليوس متيللوس G. Caecilius Metellus الذى حطم حصون يوجرتا وداهم كيرتا Cirta عاصمته — وهى قسنطينة الحالية بالجزائر — لكنه لم يخضع تماماً ، وتكررت حملات الرومان حتى انتصر عليه شلا Sulla وأسره واقتاده إلى روما عام ١٠٥ ق . م .

(راجع Cary, Op. Cit., PP. 303 - 306)

وليس أولئك الموريون سوى قبائل البربر على اختلاف أسمائها وفروعها ، وهى القبائل التى قيل إنها وفدت أصلا من الشرق(١) . واعتنق هؤلاء الإسلام بعد الفتح العربى الإسلامى لشمالى أفريقية فى القرن السابع الميلادى ، وتقربوا واشتركوا مع العرب فى الفتوح ، كما اندمجوا معهم بالمصاهرات .

ولذا كان الكثير من فاتحى أسبانيا ، من هؤلاء البربر المسلمين ، واستقر الفاتحون المسلمون من العرب والبربر فى أسبانيا ، وازداد اختلاطهم ، كما اختلطوا بالأسبان الأصليين ، وهم بقايا السقوط الغربيين والأسبان الرومان ، وعن هذا الاختلاط ، نتجت طبقة جديدة مولدة : من العرب والبربر والأسبان ، وهذه الطبقة المولدة هى التى اشتهرت فى العصر الإسلامى باسم المور Maurs وهم يختلفون كثيراً عن البربر الأصليين فى شمالى أفريقية ، حتى إنه عندما طرد هؤلاء المور نهائياً من أسبانيا ، كانوا يتميزون تماماً عن البربر الأصليين ، حتى كان يطلق عليهم أحياناً اسم « الأندلسيين » .

أما العنصر البربرى النقى ، فيمكن التماسه فى المناطق الجبلية فى مراكش ولذا كان إطلاق هذا المصطلح على سكان مراكش عامة غير دقيق ، والأصح أن يطلق على سكان المدن الساحلية فى شمالى أفريقية ووديان مراكش . ولا تزال كلمة المور تطلق على السكان الذين يتكلمون اللغة العربية

---

(٤) انظر : شمالى أفريقية والوندال للمؤلف (مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ـ العدد التذكارى ١٩٦٢)

وينتشرون فى المنطقة الفسيحة الممتدة من مراكش إلى السنغال وإلى النيجر حتى تمبكتو والصحراء الغربية .

والخلاصة أن المور جنسياً عنصر مولد أو مختلط من العرب والبربر والأسبان ، مع غلبة الدماء العربية على سائر الدماء الأخرى ، ولذا كان من الخطأ الشائع اعتبار المور جنساً أسود ، فهؤلاء بيض البشرة ، مع عدم إغفال تأثير الشمس فيهم لعدة أجيال وقرون فى تلك المناطق ، وسكان المدن من المور ، يشبهون الأوربيين تماما . والمور النموذجى فى مراكش ، عنصر جميل ذو بشرة قمحية وعيون سوداء وشعر أسود ناعم ، وعلى قدر من الذكاء ، وهم اجتماعيون ، متعصبون لعقيدتهم الإسلامية ، ويعتبرون أن دور عبادتهم أماكن مقدسة يحرم على اليهودى أو المسيحى الدنو منها ، ثم هم قساة يحبون الانتقام ، ولهم دور كبير فى تهديد سواحل أوربا الجنوبية(١)، حتى كانوا أخطر من غزا تلك الجهات(٢). وهؤلاء وسلالاتهم من بعدهم ، صاروا عدة البحرية الإسلامية العثمانية فى البحر المتوسط فى القرن السادس عشر الميلادى وما تلاه .

ومع هذا التحديد لكلمة مور ، فإن الغربيين كثيراً مايستخدمون هذا المصطلح للدلالة على العرب وعلى المسلمين عامة ، ولهم فى ذلك بعض السند ، وهو أن المسلمين الذين احتكوا بهم فى أوربا كانوا فى أغلبهم من هذا العنصر المولد .

---

(١) انظر ما يلى .

(٢) Encycl. Britt., Op. Cit.

وفرق بعض المحدثين من الكتاب تفرقة معقولة، فى استخدام مصطلحى « السراكين » و « المور » ، فاستخدمهما استخداما جغرافياً أو إقليمياً ، وذلك بأن عبر عن المسلمين الشرقيين ، سكان البلاد الإسلامية الداخلة فى نطاق الدولة العباسية ، بكلمة السراكين . وعن المسلمين الغربيين رعايا الدولة الأموية التى قامت بالأندلس ، بكلمة « المور » . ونص عبارته :

« نجد فى نهاية القرن العاشر الميلادى مملكة الأمويين The Moors العظيمة فى حوض البحر الأبيض الغربى ، بينما تسود فى الطرف الشرقى لهذا البحر ، الإمبراطورية الشرقية الكبرى ، وهى إمبراطورية العباسيين(١) The Saracens

ونظراً لهذه الاختلافات الدقيقة بين المصطلحات التى عبر بها الأجانب عن العرب والمسلمين ، مما يدل على خطورة التعميم أو عدم دقته أحياناً ، فإن بعض المحدثين من الكتاب الأجانب ، استخدموا اصطلاحات عامة شاملة وهى كلمة « المسلمين » Moslems وكذلك استخدموا كلمة « المحمدين » Mohamadans ، للدلالة على المسلمين عامة ، دون نظر إلى جنس أو لون ، وهذا لعمرى ، أدق المصطلحات وأوفاها ، لأنها تطوى فيها كل خلاف جنسى أو عنصرى أو لونى ، مما يتفق وطبيعة الإسلام الأصيلة .

أما المتعصبون الذين لاتخفى قيمة ما يكتبون ، منهم من نعت المسلمين بالبربرة ، فسموهم برابرة Brabarians مثل الكاتب الفرنسى فرديناند لو F. Lot ، الذى ضم الفتوح الإسلامية ونشر المدنية الإسلامية والدين

---

(١) Hogben, S. J. : The Mohammadan Emirates of Mageria Lond. 1930 : p. 3

الإسلامى إلى غزوات البرابرة التخريبية من الجرمان والمجريين(١) . وسار على هذا النحو كتاب إنجليز قدماء ومحدثون، أمثال: هنت Hunt(٢) وبروك Brooke (٣) وسكوت Ccott(٤) وغيرهم ، رغم إنصاف الأخير فى كثير من مواضع كتابه .

على أن ألفاظ الكفر والإلحاد ، تبادلها الجانبان الإسلامى والمسيحى خلال فترات الصراع ، ولاسيما زمن الحروب الصليبية .

---

(١) وكتابه : Les Invasions Germaniques (Paris 1935)

(٢) وكتابه : History of Italy (Lord. . 1878)

(٣) وكتابه : A History of Europe (Lord 1947)

(٤) وكتابه : History of the Moorish Empire in Europe (Lord. 1904)